جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية / الدراسات العليا

الاستشراف في القصيدة العراقية الحديثة

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية -جامعة ديالى،

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الأدب الحديث

من قبل الطالبة

ضحى ظاهر ياسين ارحيم

بإشراف

الأستاذ الدكتور

اياد عبدالودود عثمان الحمداني

ربيع الأول ١٤٤٢هـ

تشرين الثاني ٢٠٢٠م

الفصل الأول

الأبعاد الإيديولوجية للاستشراف

إضاءة:

تسعى القصيدة الحديثة إلى الإفادة من اثنينيّة الشكل والمضمون ، بل إن المضامين أصبحت أساساً تبني عليه القصائد شعريّتها ، وقد رصد الدرس النقدي العربي القديم ذلك ووضع مباحث جادّة في الكشف عن الشعرية Poetics أسماها (المحسّنات المعنوية) وغيرها ، فهي في غاية الأهمية ، وبدا واضحاً سعي الشعراء لبلوغ الغاية المعنوية استناداً إلى الصور الاستشرافية ذات البعد المعنوي المؤدلج من خلال الحدس والكشف والرؤيا(١).

إن الشعر يطرق المجهول ويبحث في ضبابية الواقع وما يُضمره المستقبل بطريقة تتحقق عندها العبقرية والقدرة الذهنيّة وتفعّل لأجل ذلك إمكانات باراسيكولوجية تتعدى حدود التفكير المنطقي أحياناً ، فنجد الشعر ينفلت ((من أطر الزمان والمكان ، وتخطيط حياة جديدة ، ورسم مثل عليا))(٢). تنسجم مع فطرة الشاعر الذي نجده ((جوّابَ آفاق لا تقرّ له قرار، فإنْ توقّف قليلاً فلكي يلتقط أنفاسه أو لكي يعيد تنظيم قلقه واستبصاره وتشوقه للمستقبل))(٣).

إنَّ الشاعر عنصر فاعل ومتفاعل مع الوسط فهو حامل رسالة إنسانية غالباً ما يتأمل الواقع بطريقة فلسفية تقوده إلى استشراف المستقبل الذي

---

(١) يُنظر: معالم جديدة في أدبنا المعاصر ، فاضل ثامر ، مستويات وزارة الإعلام ، بغداد، ١٩٧٥م: ١٨٦.

(٢) الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد ، خليل أبو بهجة، دار الفكر – بيروت، لبنان ، ط١، ١٩٩٥م: ٩٥.

(٣) تجربتي الشعرية ، عبد الوهاب البياتي ، دار العودة – بيروت، ١٩٧١م: ٣٢.

يبحث عنه بناءً على فهمه للتناقضات ، وهذا ما وجده الشاعر عبد الوهاب البياتي ((فالفهم الموضوعي للتناقضات التي تسودُ قانون الحياة وفهمه واكتشاف ما هو منطقي في حركة التاريخ والتفاعل مع أحداث العصر يمنح الشاعر الرؤيا الشاملة والقدرة على التخطّي والتجاوز والتوجّه إلى المستقبل))[١] ؛ فالشاعر –بناءً على ذلك– يجد نفسه منتجاً ومفكراً مستشرفاً عميق التفكير يتملّكه الحدْس والتأمل.

الاستشراف السياسي:

إنَّ الاستشراف رؤيا جامحة تؤسس لأيديولوجيا يصنع منها الشعراء المبدعون بصماتهم ، وقد تجلّى ذلك بوضوح في منجز الكثير من شعراء الحداثة في العراق ، ومنه الاستشراف السياسي الذي غالباً ما يرتبط بالسلطة المتحكّمة بمصير الشعوب ، والاختلاف الفكري هو المولّد الأساس لقصائد الشعراء المحدثين من هذا الجانب ، الذي كثيراً ما يتداخل مع التفكير الديني، فالبعد السياسي يرمي إلى استبصار التحوّلات الكونية المؤدلجة بهذا الاتجاه الذي يقوم عليه مآل الشعوب ومستقبلها القريب أو البعيد ؛ ومحور هذا الاستشراف ذي الطابع السياسي يحيل على التقابل بين رجال السياسة والأدباء وما تجول به خواطرهم عن الأزمات القادمة.

ومن القصائد التي اتخذت من البعد السياسي للاستشراف عنصراً مضمونياً قصيدة (سذاجة) لعدنان الصائغ التي يقول فيها[٢]:

كلّما سقط دكتاتور

من عرش التاريخ المرصّع بدموعنا

---

(١) تجربتي الشعرية ، عبد الوهاب البياتي : ٣٢.

(٢) الأعمال الشعرية ، عدنان الصائغ: ١/ ٤٧٨.

التهبتْ كفّايَ بالتصفيقِ

لكنّني حالما أعودُ إلى البيتِ

وأضغطُ على زرِّ التلفزيونِ

يندلِقُ دكتاتورٌ آخرِ

من أفواه الجماهيرِ الملتهِبةِ بالصّفيرِ والهتافاتِ

غارقاً في الضّحكِ من سذاجتي

التهبتْ عينايَّ بالدموعِ

فظاهر النص يقول إنَّ الجماهير هي منتجة الدكتاتورية ، ونحن حتماً سنُظهر دكتاتوريات أخرى ، وهكذا تعاقبت الدكتاتوريّات ، والشاعر بذلك ذو حدْسٍ واضح بمستقبلٍ بائس يولد : من عرش التاريخ المرصّع بدموعنا ؛ فكل ما يحصل في المستقبل له أساس في الماضي ، أن عدنان الصائغ من الشعراء المواكبين للاحداث وهذا ما يحصل فعلاً ، فوعي الجماهير أصل يقضي على آفة ظهور الدكتاتوريات ، وما دام الشعب لا يعي أن التصفيق والهتاف الكاذب خراب ومنبع لتنامي الفشل المستمر ومآسي الحكم غير الديمقراطي.

وتتضح صورة الصراع بين القيم النبيلة التي تمثلها الاشتراكية مقابل الرأسماليّة في قصيدة (٢٠٧٣- بغداد ، نهار خارجي) لعمر السراي التي يتضح من عتبة العنوان الاستشرافيّة التي تحيل على بعدٍ ايديولوجي يكشف عن الصراع بين هذين التوجّهين (الاشتراكي والرأسمالي) ؛ التوجه الذي

يبحث في محاربة الفساد ونشر قيم الحبّ والفضيلة ، والتوجّه الذي يبحث في القيم الماديّة التي قد تتجرّد عن القيم الإنسانية الفاضلة ، يقول: [1]

حينَ تتحوّلُ حكاياتِنا بعدَ سنينٍ

إلى كاميرا .. ودراما.. وحوارٍ..

سَيستَعيضُونَ عني بشابٍ تدَّعين أنّي كنتُ أحلى منْهُ ..

وعنكَ .. بملاكٍ من غمامٍ وسكّرٍ..

وسَنذوي..

ونشيبُ..

بسهولةٍ..

بسلَطة الماكياجِ..

لكنَّ ما سيعاني منْهُ المخرجِ..

هو كيفَ سيدَّرُ أمرَ مليونِ سلكٍ لمولداتِ المناطقِ.

تَظهرُ خلفَ صورةِ يديَّنا المتشابكتينِ..

وتذبحُ أرواحَ قبلتَنا المتخيَّلةِ بدهليزِ فولتيّتها الهاربةِ..

إن اختيار الشاعر لمفردات : (كاميرا ، دراما ، حوار ، المكياج ، سلك المولّدات ، دهليز، الفولتية الهاربة) ، تحيل على زمن الماديّات الذي يُتَوقّع إنّه سيضعُف من القيم الإنسانية التي ستبقى متخيَّلة كما في قوله آخر النصّ : ((تظهر خلف صورة يدينا المتشابكتين ، وتذبح أرواح قُبلتنا المتخيَّلة [...])) ؛ وهذا استشراف واضح للصراع بين الحاضر والمستقبل ، وبين الاشتراكية المفقودة والرأسمالية التي ستظل مهيمنة.

---

(١) وجه إلى السماء نافذة إلى الأرض (شعر) ، عمر السّراي ، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، بغداد ، ط١، ٢٠١٦: ٣٠٧.

ويستشرف نصّ الشاعر يوسف الصائغ حدثاً تاريخياً سياسياً هو تحرير مدينة الفاو العراقية التي احتلتها القوات الإيرانية عام ١٩٨٦م ، وقد نظم الشاعر القصيدة – وقتها– لشحذ الهمم والتبشير بالتحرير، يقول[١]:

أنتِ الآنُ لنا

الوطنُ الأكبرُ

والقدسُ المغتصبُ

والمُغْتَصِبونَ

صهاينةٌ فرس

وصهاينة عرب

لكنْ بُشراكِ..

غداً سَتَعودِينَ إلينا

يا زنبقةَ الشطِ العربيّ

فيدركُ كلَّ العربِ المَهزُومِينَ

أنَّ فلسطينَ

ستعودُ إليهمْ

إيّانَ تَعودُين

ويلاحظ أن الشاعر أفاد من ثقافة الاستشراف ليحاكي قيم الانتماء الواحد للأرض العربية ، ففي النص حمولات وطنية ، وقومية ، ذات

(١) قصائد ، (شعر) يوسف الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٩٢: ٣٤١.

تطلعات نحو التحرّر والابتهاج بالنّصر ؛ ((وذلك أن الأدب الذي لا يحمل فكرة ولا يحتضن قضيّة ولا يناصر الإنسان ليس من الأدب في شيء))[1].

في نصّ الصائغ توظيف خاص للزمن خدمة لموضوعة النص ، ولاسِيَّما في قوله: ((أنتِ الآن لنا ، الوطن الأكبر والقدس المغتصب))، وهذه اللحظة الإيهامية هي الأساس الذي بُنِيَتْ عليه دالّة النص وظهورات بنيته ، التي صرّح بها في الاستدراك الذي اعطى له فضاءً طباعياً متقدمًا على الأسطر الأخرى:

لكن بشراكٍ ..

غداً ستعودين إلينا

يا زنبقةَ الشطِّ العربيّ

لقد حقّق الاستشراف نقلة في الأمكنة تكشف عن التكامل الذي تفترضه القصيدة للأرض العربية الواحدة ، والمصير المشترك:

أمّا قضيّة الوطن / العراق فقد كانت الشغل الشاغل لمعظم شعراء العراق ، ولاسِيَّما الذين يملكون الفكر المغاير وروح الثورة ، لكن بعضهم كان يائساً ظنّ من قرأ شعرهم أنهم متشائمون ، فهذا سعدي يوسف يستشرف ما سيحلّ بالوطن في قصيدة (رؤيا) التي نظمها في عمّان: ١٩٩٧/٣/٨، يقول:[2]

سوف يذهبُ هذا العراقُ إلى آخرِ المقبرةِ

---

(١) آفاق في الآدب والنقد ، عناد غزوان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط١: ١٥١.

(٢) الأعمال الشعرية، سعدي يوسف ، الليالي كلها ، منشورات الجمل – بيروت ، ط١ ، ٢٠١٤م : ١/ ١٦٦.

سوف يَدْفِنُ أبناءَهُ في البطائحِ ، جيلاً فجيلاً

ويمنحُ جلّاده المغفرة...

لن يَعودَ العراقُ

ولن تَصْدحَ القُبّرَة...

فامشِ – إن شئتَ– دهراً طويلاً

واعُ – إن شئت– كلَّ ملائكةِ الكونِ

كلَّ شيطينه

ادعُ ثيرانَ آشورِ

عنْقاءَ مغربةً

أدْعُها

وانتظرُ في دخانِ التهاويلِ

معجزةً المبخرةِ.

والنصّ يحيل بوضوح على أن الخرافة فقط هي الأمل ، والمنطق يقول إن الوطن يسير نحو الضياع رابطاً بين الماضي والحاضر، فما سيحصل مآسٍ مضافة إلى بكائيات جلجامش وبابل وسنحاريب والحسين ... وهذه المعاني تتداعى – بلغة الغياب– ويقود بعضُها بعضاً ؛ فالناس في هذا الوطن يتنافسون على بناء القبور وحدّة الصراخ ، وما زال أمامنا الكثير لنستطيع أن نكوّن وطناً تنبتُ فيه أزهارَ الوطنية والبقاء ، وهذا ما يتضح في خاتمة القصيدة : **((ادْعُ ثيرانَ آشورَ عنقاءَ مُغْرِبةً ... ادْعُها وانتظِرْ في دخانِ التهاويلِ معجزةَ المبْخرةْ)) !.**

أمَّا قصيدة (أمنيات) لريم قيس كبّة ، فقد استشرفت أحداثاً سياسية يشهدها الوطن/العراق ، وأصبحت واقعاً ، فالطابع الحزين المتشائم كان واضحاً في هذه القصيدة ، تقول[1]:

بغتةً

ذاتَ قيلولةٍ للمدافعِ

ما بينَ حربينِ

كنّا التقينْا

حَلمْنا مَعاً

ان تصيرَ المدافنُ

ساحاتٍ رقصٍ

وقلتُ:

سَيُصبِحُ ما قد تهدّمَ من أمنياتٍ

ناطحاتِ سرابٍ

وقلتُ بأن المدافعَ ماتَتْ

وأنَّ الحروبَ تنامُ طويلاً

وبأسرع مِن طلقةٍ مرَّ جيش

وكنّا نراوحُ بينَ التغرّب والزقزقات

بقينا نفكّرُ

أنّ القذائفَ

قد تستحيلُ نخيلاً

---

(١) متى ستصدق أنني فراشة ، (شعر)، ريم قيس كبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٥م: ٣١.

وانتظرنا قليلاً

حينَما عصفَتَ حربُنا الثالثةُ

لم يعدْ ثمّ متّسعٍ للتمنيّ

فكنتُ احترفْتُ انا الكارثةُ

وبأسرعِ من طلقةٍ

مرَّ جيش

إن هذه القصيدة تفصح عن رؤيا استشرافية للضياع القادم والتشاؤم الظاهر تحقّق ما بعد ٢٠٠٣، فالقصيدة نظمت عام ١٩٩٩ قبل احتلال العراق بأربع سنوات ، وكانت تصرّح بلغة مغايرة عن ما سيحصل ، مِثل قولها:

((سيصبح كلّ ما تهدّم // ناطحات سراب)) التي كسرت أفق انتظار المتلقي الذي كان ينتظر (ناطحات السحاب) ، وقد حقق هذا التنافر بؤرةً للاستشراف الذي بحثت فيه القصيدة.

وفي قصيدة (نشيد شخصي) لسعدي يوسف يتضح البعد الايديولوجي للهجوم على الرأسمالية، ولاسِيَّما في ذكره للأطعمة التي تستقطب الناس من دون نظر إلى الكارثة القادمة ، وقد ابتدأت القصيدة باستفهام إنكاري[1]:

أهو العراقُ؟

مبارك من قالَ إنّي أعرفُ الطرّقَ التي تُفضي إليه

مباركٌ من تمتمتْ شَفَتاه أربعةَ الحروفِ:

"عراقُ ، عراق ، ليس سوى عراق"

(١) سعدي يوسف: ٥٠٢.

وهـذا الابتـداء يهيـئ لشـوقهِ بلفظـة التضـمين مـن قصـيدة السـياب (غريـب علـى الخلـيج) وانتمائـه ، ولاسِـيَّما حـين استحضـر قـول الشـاعر السـياب فـي (غريـب علـى الخلـيج)[1]، الـذي تبعـه توظيـف (سـوق) المكـررة سـبع مـرات التـي تفيد المستقبل.

وعلـى الـرغم مـن أن يوسـف الصـائغ قـد نظـم القصـيدة فـي لنـدن بتـاريخ ٢٠٠٣/٣/١٥ مـع التهيـؤ لغـزو العـراق / الـوطن فإنـه كـان يعـي مـا سيحصـل ، فقد أشار الدمّار إلى القيم الجديدة التي ستسود ، يقول[2]:

سوف تنقَضُّ الصواريخُ البعيدةُ

سوفَ يَدهمُنا الجنودُ مدجّجِينَ

وسوف تنهارُ المنائرُ والمنازلُ

سوف يهوي النخلُ ، منقَصفاً ؛ وسوف تضيقُ بالجثثِ التي تطفوْ

ضفافُ البحرِ والأنهارِ

سوف نرى ، لُماماً ، " ساحةَ التحريرِ " ، في كتُبِ المراثي والتصاويرِ...

المطاعمُ والفنادقُ:

ماكدونالد Mc Donald

دجاج كنتاكي KFC

وهوليداي إنْ Holiday Inn

سوف تكون خارطةُ الطريقِ ، وبيتُنا في جنّـة المأوى ،

وسوف نكون غرقى

---

(١) ديوان بدر شاكر السياب: ٣١٨/١.

(٢) سعدي يوسف: ٥٠٢- ٥٠٣.

مثلَ اسمكَ ياعراقُ

"عراقُ ، عراقُ ، ليس سوى عراق" ...

ولو تأملنا الخاتمة لوجدناها منسجمة مع مقام التضمين مع قصيدة (غريب على الخليج) للسياب ، فقوله: ((سوف نكون غرقى ، مثل اسمك يا عراق"

يتناغم مع مقام ذكر العراق، وذكر الموج في مشهد إيهامي ، وذكر الموج يستدعي الغرق في ذهن المتلقي ، يقول السياب[١]:

الريح تصرخ بي : عراق

والموجُ يعولُ بي : عراق ، عراق ليس سوى عراق!

((وقد هيّأ هذا المشهد للعراق/ الوطن قدرات مميّزة ، منها ظهور لفظة عراق مكررة بطريقة توهم بأنها تحاكي صوت الموج محقّقة عدولاً على مستوى السياق))[٢] ، وقد كان لهذهِ اللقطة المضَّمنة من المشهد أثر واضح في بناء قصيدة سعدي يوسف، فقد كررّها في آخر أسطر القصيدة إيذاناً بنبوءة الغرق والضياع ، يقول[٣]:

وسوفَ نكونُ غرقى

مثل اسمكَ يا عراقُ

"عراق ، عراق ، ليس سوى عِراقْ..."

---

(١) ديوان بدر شاكر السيّاب" ٣١٨/١.

(٢) البنى الناطقة ، تطبيقات في الشعرية العربية وأثرها الأسلوبي ، أ. د إياد عبد الودود الحمداني ، المطبعة المركزية ، جامعة ديالى [قيد النشر] ؛ ٢٠٢٠م: ٩٢.

(٣) سعدي يوسف: ٥٠٣.

الاستشراف الاجتماعي امتداد للسياسي:

يمكن وصف الاستشراف الاجتماعي بأنه اجتهاد علمي منظّم ((يرمي إلى صوغ مجموعة من التوقعّات المشروطة التي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما ، أو مجموعة من المجتمعات في فترة زمنية مقبلة))[١].

أمَّا في الشعر فإن الاستشراف الاجتماعي هو رؤيا تنطلق من نقطة اجتماعيّة معيّنة أو حدثٍ اجتماعي لتصوّر مستقبل أحداثٍ متوقعّة ، فيختار الشاعر احتمالاً من بين احتمالات وافتراضات منطلقاً من واقع معيّن يتداخل فيه مع الاجتماعي بالسياسي أو الديني ، فأغلب المعاناة التي تظهر في المجتمعات إنّما هي نتيجة لنشاطٍ سياسي أو ديني في غالب الأمر.

ويبدو هذا واضحاً عند الشعراء الكبار الذين يفعّلون الفكر والفلسفة في تعاملهم مع اللغة الإبداعية ، وقد استشرف الشاعر سامي مهدي في نص (خطر المنسيين) وكذا في نص (قل لهم) ما ستؤول إليه الأمور بعد استلاب الحي الاجتماعي ، يقول في (خطر المنسيين) [٢]:

هم أيضاً منسيّون

وكلُّ المنسيين خَطِرون

---

(١) الدراسات المستقبلية: الإشكالات والآفاق (بحث) عواطف عبد الرحمن ، مجلة عالم ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت : ع ٤، ١٩٨٧م:١٤.

(٢) لو كنت حكيما ، و يليه قصائد في الظل ، سامي مهدي ، دار ميزوباتاميا طباعة ونشر – العراق بغداد ، ط١ ٢٠١٩م : ١٧٩.

.

فَمنْ يدري ما يمكنُ أنْ يفعلَ منسيّ

إنْ جاعَ؟

ومَنْ يدري كيفَ يفكّرُ بالمتخومين؟

وماذا يضمرُ العالم!

ثمّةَ ألف سؤالٍ،

فالمنسيّونَ براكين

تبدو خامدةً صامتةً

وتثورُ بلا نذرٍ

في ليلِ الجوعِ

فعدم تحقّق العدالة الاجتماعية مولّد للثورة ومحفّز على التمرّد ضد الأوضاع؛ لأن الإنسان حين يستبدّ عليه الجوع وتلويه الفاقة ، فإنه سينفجر غضباً ، وهذا ما يقوله المنطق الذي غالباً ما كان غائباً ، وقد حصل ذلك بوضوح في مجتمعنا ، فالسّخط بسبب الجوع قاد إلى الثورة والتمرّد.

أمّا في قصيدة (قل لهم) فهي ذات طابع تحريضي ، وقد بدت فاعلة ناطقة تستدعي الثورة على واقع اجتماعيّ مرّ ، قادَ إلى الفقر والجهل والأمراض ، إنها رؤيا الجماهير الباحثة عن حياةٍ حرّة كريمة ، يقول[1]:

قلْ لَهُمْ أيَّ شيءٍ

ولا تستطبْ مثلَ هذا السكوتِ

قلْ لَهم إنَّكَ اخترتَ ألّا تموتَ

لئلا تموتُ

قُلْ كلاماً جديداً ،

(١) لو كنت حكيما ، و يليه قصائد في الظل ، سامي مهدي: ١٨١.

ومُختلفاً

تَتضَيأُ به شرفاتُ البيوتِ

وتُصْبِحُ الشوارعُ

والناسُ

والريحُ

حتى لتبلغَ أصواتُها سدّةُ الملكوتِ

قلْ لهم دُونَما وجل

أنْ هذا الكتابِ

كِتابَك أنتَ

وهذا الكلامُ كلامُكَ

حتى وإن أنكروا مِنْكَ هذا الجوابْ

قل لَهُم لا سبيلَ

فقد حانَ وقتُ الحسابِ.

فبعد أن هيّأت القصيدة أجواءً تحريضية في مطلعها امتدّ الاستشراف مستفيداً من العناصر الحسيّة ولاسِيَّما الصوت والضوء ، وحاول الشاعر الابتعاد عن الغنائية باستحضار الطابع الدرامي المتخيّل في التصوير ، فشيوع الظلم في الأوساط الاجتماعية ستتحول إلى رؤى وتطلعات تقود إلى الثورة (المتحقّقة) في نبوءة الشاعر.

ويفاجئنا نصّ لسعدي يوسف يستشرف فيه تحولاً في قيم المجتمع ، تجاه نمط يقوم على التفاؤل ، فالمحتل الأمريكي راحل لا محالة وكذا ذيوله ، يقول[1]:

(١) سعدي يوسف: ١٤٩-١٥٠.

سوفَ يأتي العراقُ الجميلُ

سوفَ يأتي العراقُ [...]

هذا العراقُ الجميلُ

قادمٌ في عباءَةِ أمّي التي رحلَتْ وأنا جاهل أنّها رحلتْ

كنتُ أذرعُ زنقاتِ باريسَ

هذا العراقُ العجيبُ

سوفَ يأتي بنِا من منابذِنا في الديّارِ التي لم نُحِبْ

الديار التي لم تحبُّ ملامِحَنا

وضراوةَ أجسادِنا...

ولسوفَ نكونُ سعيدينَ

مرتجفينَ

حفاةً

خفافاً

وممتلئين عفافاً

ورعباً...

وسوف نقولُ لهُ:

أيُّهذا العراقُ

لم يَعُدْ في الطبيعةِ مُتَّسَعٌ

للفراقْ

أيُّهذا العراقْ...

وقد بدت بواكير هذا الاستشراف واضحة في السلوك الجماهيري للشعب العراقي الذي يتعافى من الطائفية والانتماء القبلي ويتّجه نحو التعدديّة والحبّ والعافية.

وكان كاظم الحجّاج في قصيدة (الفجر) يستشرف الواقع الاجتماعي الذي سادت فيه فوضى الإهمال وانتشار البطالة وضعفت الزراعة والصناعة فلا يمكن أن يحصل تغيير ، فالإعلام وجعجعة القول لا تعطي نتائج ، وقد كانت بؤرة الاستشراف واضحة في خاتمة القصيدة وهذا نصّها[1]:

ما لم تغادرْ الطيورُ أعشاشَها

ما لم يخرجْ الفلاحونَ والرعاةْ

إلى الحقولِ

والعمّال إلى المصانعِ

ما لم تمسحْ الأمّهاتُ نومهنَّ

ويُشعِلْنَ نِيرانَ المواقدِ

ما لم تفتحْ الجميلاتِ – كلَّ الجميلاتِ– عيونهنّ

ثم يتثاءَبْنَ في وجهِ الكون..

ويبتسمن

ما لم يحدثْ كلَّ ذلكَ ، في كلِّ يومٍ

فإنّ صياح الديكِ وحدَهُ كلّ يومٍ

فإنّ صياحَ الديكِ وحدَهُ

لن يصنعَ فجراً جديداً!

---

(١) غزالة الصّبا (شعر) كاظم الحجّاج ، دار الينابيع للطباعة والنشر – عمّان ، ط١، ١٩٩٩م: ١٦.